اختلاف القراءات القرآنية وأثره على الدلالة النحوية والصرفية

إبراهيم أحمد عبدالجليل- جامعة مصراتة - ليبيا
i.abduljaleel@art.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:
عالجت في هذه الدراسة قضايا مهمة تتعلق بكتاب الله وقراءاته المتواترة، من حيث تنوع الدلالات اللغوية نحويا وصرفيا وأثره على المعنى، ذلك أن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعربُ كانوا وقتئذ مختلفي اللهجات، متنوعي اللغات، فأنزل الله تبارك وتعالى القرآن على سبعة أحرف، تيسيرا على الأمة، فكانت الإباحة من الله عز وجل لكل قبيلة أن تقرأ بلغتها، وما درجت عليه، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات.[1] ومن مقتضى التيسير ورفع الحرج أن يكون هناك قراءات مختلفة، تناسب اختلاف لهجات العرب، وهذه القراءات كلّها والأوجه بأسرها من اللغات هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرأ بها وأباح الله تعالى لنبيّه القراءة بجميعها، وصوّب الرسول صلى الله عليه وسلم من قرأ بها، وفي هذا البحث تحدثت عن بعض الدلالات النحوية والصرفية للقراءات القرآنية المتواترة، فقد لفت نظرنا وجود اختلافات كثيرة بينها في اللفظ والمعنى، وانقسمت إلى اختلافات صرفية ونحوية وتناولنا في هذه الدراسة نماذج من هذه الاختلافات ومدى تأثيرها في اختلاف المعنى من قراءة لأخرى.
الكلمات المفتاحية: القراءات، الزّفيف، الإقراض

المقدمة:
إن القراءات القرآنية ميراثٌ خالد اختصت به أمة الإسلام من بين سائر الأمم، فعلم القراءات علم جليل له من الرواية ذروة سنامها، ومن الدراية صافي دررها، وإحكام مبانيها والتبحر في مقاصدها والغوص في معانيها بحر لا ساحل

(1) ينظر: الداني، الأحرف السبعة. مصدر سابق، ص 40.

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

له، وغور لا قاع له وفي هذا البحث سأتحدث عن بعض الدلالات اللغوية للقراءات القرآنية المتواترة، فقد لفت نظري وجود اختلافات كثيرة بينها في اللفظ والمعنى، وانقسمت إلى اختلافات صرفية ونحوية، مع التأكيد على أن هذه الاختلافات، ليس فيها تناقض، أو تعارض، بل هو اختلاف تنوع وتغاير، مما يزيد تنور في الفهم، ووضوح في المعنى، وعُدَّ ذلك من إعجاز القرآن الكريم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

فالخلافات بين القراء في قراءاتهم لنص الآية الكريمة، يظهر لنا مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية في التراكيب النحوية والصيغ الصرفية، والقرآن الكريم نزل بلغة قريش على الأرجح من أقوال العلماء، ولكن هذا لا يعني أنه أغفل غيرها من لهجات العرب، فاللهجة القرشية اشتملت على كثير من محاسن اللهجات العربية الأخرى، وبهذا لا تصبح لهجة القرشيين غريبة على ألسنة التميميين والطائيين وغيرهم من القبائل الأخرى، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ليكون معجزا للعرب جميعا، وعلى الرغم من أن اللهجة القرشية مفهومة للجميع فقد جاء التيسير بنزول القراءات؛ لأن فهم الآية الكريمة شيء، والنطق بها شيء آخر. سنتناول في هذه الدراسة نماذج من هذه الاختلافات الصرفية منها والنحوية ومدى تأثيرها في اختلاف المعنى من قراءة لأخرى.

أولاً: الدلالة النحوية

1- قوله سبحانه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66] في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، حيث قرأ ابن ذكوان وروح بالتاء على التأنيث ﴿تخيل﴾ وقرأ الباقون بالياء على التذكير﴿يخيل﴾.[2] وواضح أن الخلاف بين القراءتين خلاف نحوي، فقراءة ابن ذكوان جاء فيها الفعل ﴿يخيل﴾ مسندا إلى ضمير يعود على العصي والحبال، وهي مؤنثة، والمصدر المنسبك من ﴿أنها تسعى﴾ بدل اشتمال. وذهب السمين الحلبي، والزمخشري، ومحيسن، إلى أن من قرأ بالياء في ﴿يخيل﴾ فقد جعل نائب الفاعل ضميرا يعود على العصي والحبال لكونهما مؤنثين غير حقيقيين، والمصدر المنسبك من ﴿أنها تسعى﴾ بدل اشتمال.[3] وعلى هذا التوجيه تكون هذه القراءة مخالفة لما تقرر من قواعد النحاة، من أن الفاعل ونائبه، إذا كان ضميرا مستترا يعود على مؤنث سواء أكان حقيقيا أم

(2) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 360/2

(3) ينظر: الزمخشري، الكشاف مصدر سابق، (4/ 154، والسمين الحلبي في الدر المصون 154/3 ومحمد محيسن، الهادي إلى شرح طيبة النشر، مصدر سابق،45/3

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

مجازيا، يجب تأنيث الفعل له، وهنا عاد الضمير على مؤنث مجازي، ومع ذلك لم يؤنث الفعل لأجله ، وذهب ابن خالويه إلى أن حجة من قرأ بالياء أنه ردّه على السّحر.[4] وأما ابن زنجلة فجعل أحد الاحتمالين أن يكون المصدر المنسبك﴿أنها تسعى﴾ هو النائب عن الفاعل، والتقدير: يخيل إليه سعيها، حيث يقول: "وقرأ الباقون ﴿يخيل إليه﴾ بالياء والمعنى: يخيل إليه سعيها، ويجوز أن ترده على السحر".[5] وذهب مكي إلى أن المصدر المنسبك﴿ أنها تسعى﴾ هو النائب عن الفاعل في قراءة من قرأ بالياء في ﴿يخيل﴾.[6] وفي ظننا أن ما ذهب إليه الزمخشري ومكي والسمين الحلبي والشيخ محيسن، من أن نائب الفاعل ضمير مستتر عائد على الحبال والعصي كلام فيه نظر؛ لأن التخيل لم يكن في الحبال والعصي، فهما حقيقتان بارزتان، مشاهدتان، ملموستان، وإنما التخيل واقع على كونهما ساعيتين، والله أعلم.

2- قوله سبحانه ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 5، 6]

في هذه الآية الكريمة قراءتان متواترتان، فقد قرأ أبو عمرو البصري والكسائي بجزم الفعلين المضارعين ﴿يرثني ويرث﴾ والباقون بالرفع فيهما.[7] وقد اختلفت الدلالة اللغوية باختلاف القراءتين، فمن جزم الفعلين، فقد جعل الفعل الأول مجزوما في جواب الدعاء وهو قوله سبحانه ﴿ فهب لي من لدنك وليا﴾ لأن معنى الشرط موجود فيه، وجعل الكلام متصلا بعضه ببعض، وقدر الولي بمعنى الوارث، والتقدير: فهب لي من لدنك وليا وارثا يرثني، وتقوت هذه القراءة بكون ﴿وليا﴾ رأس آية مستغن عن أن يكون ما بعده صفة له. والفعل الثاني ﴿ويرث﴾ تابع للأول معطوفا على ﴿يرثني﴾.

ومن قرأ بالرفع في الفعلين، وهم الباقون من القراء، فقد جعلوا الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه في محل نصب، صفة لكلمة ﴿وليا﴾ لأن الجمل بعد النكرات صفات، ولأنه نكرة عاد الجواب عليها بالذكر ودليله قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ ولأن زكرياء عليه السلام سأل ربه وليا وارثا علمه ونبوته، وليس المعنى على الجزاء أي: إن وهبته ورث ذلك؛ لأنه ليس كل ولي يرث، فإذا لم يكن كذلك لم يسهل الجزاء.[8]

(4) ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، مصدر سابق، ص: 244
(5) ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، مصدر سابق، ص: 457
(6) ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي. الكشف، مصدر سابق، 205/2
(7) ينظر: ابن زنجلة. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، مصدر سابق، ص: 376
(8) ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات، مصدر سابق، ص: 438

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

والصواب أن كلتا القراءتين صواب، وأن المعاني التي أتت منهما تكاد تكون واحدة؛ فزكرياء عليه السلام يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله، والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده -عز وجل.

3- قوله سبحانه ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: 94]

اختلف القراء في ﴿يزفون﴾ فقرأ حمزة وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون ﴿يزفون﴾ بفتح الياء.[9] قراءة حمزة يكون الفعل المضارع مأخوذا من الفعل أزف، فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يحملون غيرهم على الإسراع، فالمفعول محذوف، والمعنى: فأقبلوا إليه يحملون غيرهم على الإسراع أي يحمل بعضهم بعضا على الإسراع. والزّفيف: الإسراع في الخطو مع مقاربة المشي. وقراءة الباقين، مأخوذة من الفعل زف يزف، والذي يعني الإسراع في المشي، دون استلزام حث الغير. وذهب ابن خالويه إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو الإسراع في المشي.[10]

4- قوله سبحانه ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]

اختلف القراء في ﴿يغفر ويعذب﴾ فقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر يعقوب برفع الراء والباء منهما، والباقون بجزمها.[11] فمن رفع الراء من ﴿فيغفر﴾ ورفع الباء من ﴿ويعذب﴾ فعلى الاستئناف. والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. ومن قرأ ﴿فيغفر، ويعذب﴾ بجزمهما، فهو عطف على قوله تعالى قبل:﴿ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الواقع جوابا للشرط فأتبعه ما قبله ولم يقطعه، فحسنت المشاكلة في الكلام.

5- قوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]

اختلف القراء في ﴿ترجعون﴾ فقرأه يعقوب الحضرمي وحمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم، أي: بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء لما لم يسم فاعله.[12] فقراءة يعقوب ومن وافقه من الكوفيين، يكون رجوعهم باختيارهم، فقد أضاف الفعل إليهم، ومن بناه لما لم يسم فاعله، فقد جعل الرجوع واقعا عليهم، فالله سبحانه هو الفاعل لبعثهم ونشورهم ورجوعهم إليه سبحانه، ولأنهم لا يرجعون حتى يرجعوا، إذ لا يبعثون أنفسهم من القبور حتى يبعثوا.

(9) ينظر: السابق.
(10) ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، مصدر سابق، ص: 302
(11) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، 2/ 270
(12) ينظر: نفسه، 2/ 238

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

ونلحظ الفرق بين القراءتين يتجلى في أن قراءة البناء للفاعل جعلت الأمور مندفعة بذاتها، بينما قراءة البناء لما لم يسم فاعله، جعلت الأمور تساق إلى الله سوقا، وهنا لنا أن نلحظ أن الراغبين في لقاء الله، المستعدين لهذا اليوم العظيم، سيرجعون إلى ربهم بأنفسهم طائعين، لأنهم ذاهبون إلى الخيرات، وإلى جنات النعيم. وأما أولئك الذين استحبوا الحياة الدنيا وزينتها، وأسرفوا على أنفسهم، ولم يعملوا لهذا اليوم العظيم، فسيرجعون رغم أنوفهم، حيث تأتيهم ملائكة العذاب تجرهم جرا، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وهكذا من لم يجيء رغبا جيء به رهبا.

كل هذه المعاني العظيمة عبرت عنه حركتان اثنتان، فأي نظم هذا؟ وأي إعجاز أعظم من هذا الإعجاز؟ تغيير حركتين، تشيع في جوانب الآية الكريمة كل هذه المعاني والدلالات والإيحاءات بما تعجز عنه الكلمات، وتقصر عنه الجمل الطوال والعبارات، بلى، إنه تنزيل من فاطر الأرض والسموات.

6- قوله سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: 161]

اختلف القراء في الفعل المضارع ﴿يغل﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين من غل مبنيا للفاعل، والباقون بضم الياء وفتح الغين مبنيا للمفعول.[13] وهذا الاختلاف النحوي بين القراءتين، نتج عنه تعدد المعاني، فقراءة البناء لما لم يسم فاعله، تحمل معنى المدح والثناء للصحابة الكرام، الذين نفى عنهم الحق سبحانه أن يحصل منهم غلول للرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن يخونوه في المغانم. وقراءة البناء للفاعل، فيها مدح للرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، حيث نفى عن ربه حصول الغلول، فلا يجوزُ أن يُتَوَهَّمَ ذلك فيه البتة. والغُلولُ هو الأَخْذُ في خُفْيَةٍ، أو هو الخيانة في خفاء، وأصله مأخوذ من الغلل، وهو الماء الذي يسري في أصول الشجر، لا يراه أحد.

7- قوله سبحانه ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100]

جميع القراء على جر ﴿الأنصار﴾ إلا يعقوب الحضرمي فقرأ بالرفع.[14] فقراءة الجمهور تفيد بأن السابقين الأولين من هذين الفريقين، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأما قراءة يعقوب فقد أفادت معنى آخر، هو أن الأنصار جميعهم مندرجون في اللفظ من دون تخصيص بسابق وغير سابق. فدخول الأنصار للإسلام كان متقاربا جدا، فلم يكن منهم سابقون ومتأخرون، فقد ذكر بعض المؤرخين أن الإسلام انتشر في المدينة المنورة بشكل متسارع، ففي ليال معدودة

(13) ينظر: البنا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، مصدر سابق، ص: 231
(14) ينظر: ابن الجزري النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، 2/ 315

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

كانت بيوتات المدينة ترتفع منها أصوات القرآن الكريم، وهذا فيه رفعة للأنصار ومدح لهم، إذ كلهم من السابقين. وهذه القراءة؛ قراءة رفع ﴿الأنصار﴾ جعلت تقسيم المخبر عنهم بالرضى والجنة ثلاث طبقات:

1- السابقون الأولون من المهاجرين.
2- الأنصار
3- الذين اتبعوهم بإحسان

وأما قراءة الخفض التي هي قراءة الجمهور، فقد قسموا إلى ثلاث أيضا:

1- السابقون الأولون من المهاجرين.
2- السابقون الأولون من الأنصار.
3- الذين اتبعوهم بإحسان.

وقراءة الرفع لم ينفرد بها يعقوب الحضرمي، بل قرأ بها عمر رضي الله عنه، فقد أسند الطبري أن زيد بن ثابت سمعه فرده فبعث عمر في أبي بن كعب فسأله فقال أبي بن كعب: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾ فقال عمر: ما كنا نرى إلا أنَّا قد رفعنا رفعة لا ينالها معنا أحد، فقال أبي: إن مصداق هذا في كتاب الله في أول سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ [الآية : 3] وفي سورة الحشر﴿والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ [الآية : 10] وفي سورة الأنفال في قوله ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [الآية : 75] فرجع عمر إلى قول أبي.[15] وتروى هذه الحادثة بشكل آخر، وهو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرى أن الواوَ ساقطةٌ من قوله: ﴿والذين اتبعوهم﴾ ويقول: إن الموصول صفةٌ لمن قبله، حتى قال له زيد بن ثابت: إنها بالواو فقال: ائتوني بأُبَيّ. فأتَوه به فقال له: تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الآية : 3]، وأوسط الحشر: ﴿والذين جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الآية : 10]، وآخر الأنفال: ﴿والذين آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ﴾ [الآية : 75]. ورُوِي أنه سمع رجلاً يقرأها بالواو فقال: مَنْ أقرأك؟ قال: أُبَيّ. فدعاه فقال: أَقْرَأنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القَرَظ بالبقيع. قال: صَدَقْتَ وإن شئت قل: شهدنا وغِبْتم، ونَصَرْنا وخَذَلْتم، وآوَيْنا وطَرَدْتم. ومن ثَمَّ قال عمر: لقد كنتُ أرانا رُفِعْنا رَفْعةً لا يَبْلُغها أحدٌ بعدنا.[16]

(15) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، 3/ 303
(16) السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، مصدر سابق، ص: 223

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

هذا وقد استشكل قراءة الرفع بعض العلماء كالطبري الذي قال: "والقراءة التي لا أستجيز غيرها، الخفضُ في﴿الأنْصَارِ﴾ لإجماع الحجة من القرأة عليه، وأن السابق كان من الفريقين جميعًا، من المهاجرين والأنصار، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين، دون الخبر عن الجميع".[17] ومن قبلُ ذهب الإمام الأخفش إلى استشكالها كذلك فقال: (وقال بعضهم ﴿والأَنْصارُ﴾ رفع عطفه على قوله ﴿والسَّابِقُونَ﴾ والوجه هو الجر لأن السابقين الأولين كانوا من الفريقين جميعا".

8- قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 57]

اختلف القراء في ﴿والكفار﴾ فقرأ أبو عمرو البصري وتلميذه يعقوب الحضرمي والكسائي بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها.[18] قراءة الخفض جاءت على النسق على ﴿الذين أوتوا الكتاب﴾ والمعنى من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار. وأما قراءة النصب فهي نسق على ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا﴾ ولا تتخذوا الكفار أولياء. وباختلاف القراءتين نحويا، اختلفت الدلالة وتغير المعنى أيضا؛ لأن قراءة الخفض أفادت النهي عن اتخاذ المستهزئين أولياءَ، وبيَّنت أن المستهزئين صنفان: أهلُ كتاب متقدم، وهم اليهود والنصارى، وكفارٌ عبدةُ أوثان، وإن كانَ اسمُ الكفر ينطلق على الفريقين، إلا أنه غَلَب على عبدة الأوثان: الكفار، وعلى اليهود والنصارى: أهل الكتاب، وأما قراءة النصب فليس فيها تعرُّضٌ للإخبار باستهزاءِ المشركين، وإن كانت هذه الصفة ثابتة لهم في مواضع أخرى من كتاب الله.

9- قوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصف: 8،9]

اختلف القراء في ﴿متم نوره﴾ فقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وحفص﴿متم﴾ بغير تنوين ﴿نوره﴾ بالخفض، وقرأ الباقون بالتنوين والنصب.[19] في هاتين القراءتين المتواترتين، تتجلى روعة اللغة العربية، وجمالها، فبتغيير حركة واحدة، تحصلنا على معان عظيمة، ذلك أن قراءة الإضافة، ترشد إلى أن الله سبحانه قد أتم نوره، بانتشار الإسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتمكين لأهله والنصر على أعداء الإسلام، وهذه منة عظيمة، امتن الله بها على أولئك المستضعفين الذين كانوا يتخطفون في أرضهم، ولا يستطيعون الجهر بإسلامهم، فنصرهم الله سبحانه، وقوى شوكتهم، ومكنهم من إقامة دولة، لها هيبتها

(17) تفسير الطبري (14/ 439)
(18) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، 2/ 288
(19) ينظر: ابن مجاهد السبعة في القراءات، مصدر سابق، ص: 635

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

ومكانتها ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الأنفال: 27 ولكن لمَّا كان الإسلام للمسلمين في كل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، جاءت قراءة التنوين لتحمل الوعد منه سبحانه بنصرة المسلمين اللاحقين، ولتنزل الطمأنينة على قلوبهم بأن الله معهم ناصرهم، وممكن لهم في الأرض متى تمسكوا بدينهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ النور: 57

ثانيا: الدلالة الصرفية

1- التنوع بين الإفراد والجمع

قوله سبحانه ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]

اختلف القراء في كلمة ﴿عبادنا﴾ بين الإفراد والجمع، فقرأ المكي وحده بفتح العين، وإسكان الباء، على الإفراد، والباقون بالجمع.[20] وهذا الاختلاف نتج عنه معاني متغايرة، حيث دلت قراءة ابن كثير على مزيد الإجلال والتعظيم لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي خص بالإفراد، وجاء من بعده إسحاق ويعقوب، بدلا منه، وعطف على البدل ما بعده. وأما قراءة الجمهور، فقد جمعت الأنبياء الثلاثة دون تخصيص، على البدلية.

قال ابن خالويه: "فالحجة لمن جمع أنه أتى بالكلام على ما أوجب له من تفصيل الجمع بعده، والحجة لمن وحد أنه اجتزأ بلفظ الواحد من الجمع لدلالة ما يأتي عليه".[21] فقراءة الجمع بينت أن الأنبياء الثلاثة لهم شأن عظيم، وقراءة الإفراد أعطت خصوصية لإبراهيم عليه السلام، دون أن تلغي ذلك، وجعلت من بعده من أبنائه وذريته تبعا له، فهو من قبيل إفراد الخاص من بين العموم؛ تنبيها على شرفه ومكانته، فهو أبو الأنبياء، وشيخ الحنفاء.

2- التنوع بين اسم الفاعل والصفة المشبهة

قوله تعالى ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15]

(20) ينظر: النشر في القراءات العشر 2/ 402. وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص: 477

(21) ينظر: الحجة في القراءات السبع ص: 305

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

اختلف القراء العشرة في ﴿غير آسن﴾ فقرأ ابن كثير بغير مد بعد الهمزة، وقرأ الباقون بالمد.[22] فقراءة القصر هي صفة مشبهة باسم الفاعل، مأخوذة من قولهم أسن الماء يأسن، فهو أسن، كما تقول: حذر يحذر فهو حذر، وهرم يهرم فهو هرم، والهمزة فيهما معا همزة أصل، وقراءة المد اسم فاعل، مأخوذة من قولهم أسن الماء يأسن، فهو آسن كما تقول: خرج يخرج فهو خارج. فكل قراءة أتت بمعنى يختلف عن أختها، ذلك أن قراءة القصر أفادت عدم تغير الماء في حال جريانه، وأما قراءة المد، فهي عدم تغير الماء على كثر مكثه، قاله مكي في كشفه.[23]

3- التنوع بين جمع القلة وجمع الكثرة

قوله سبحانه ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ يوسف: 62]

اختلف القراء في ﴿لفتيته﴾ فحفص وحمزة والكسائي وخلف بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها، جمع كثرة لفتى، والباقون بغير ألف وبتاء مثناة بدل النون جمع قلة له[24]، فقراءة ﴿لفتيانه﴾ هي جمع تكسير للكثرة، لأن وزن فعلان من جموع الكثرة، نحو: غلمان وصبيان والتكثير هنا بالنسبة للمأمورين، بقرينة ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ فكما أن الرحال للعدد الكثير فكذلك المتولون هم كثر أيضا، وهذا يدل على كثرة الخدم ليوسف عليه السلام، وأما قراءة ﴿ لفتيته﴾ فواضح أنه من جموع القلة، والقلة بالنسبة للمتناولين، ذلك أن الذين قاموا برفع البضاعة في رحالهم يكفي منهم أقلهم، وقد قال تعالى ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ وقوله ﴿إنهم فتية﴾ وقال ﴿بأوعيتهم﴾ فكل هذا من جموع القلة.

4- التنوع بين التخفيف والتشديد

قوله سبحانه ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18] اختلف القراء في ﴿المصدقين و المصدقات﴾ فقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد فيهما،وقرأ الباقون بتشديدها منهما.[25] ولا شك أن لاختلاف القراءتين اختلافا تغايريا في المعنى؛ لأن كل قراءة بمثابة آية مستقلة، فقراءة التخفيف هي اسم فاعل من التصديق بالله، ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وقراءة التشديد هي اسم فاعل أيضا إلا أنها من تصدق، والأصل إن المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد. وبيِّنٌ أن قراءة التشديد أعم في الدلالة من التخفيف، ذلك أن كل من تصدق لله، فهو مؤمن لا شك، فجمعت بين

(22) ينظر: النشر في القراءات العشر. 2/ 414
(23) ينظر: 378/2
(24) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: 333
(25) ينظر: النشر في القراءات العشر، 2/ 424

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

الإيمان والصدقة في أخصر عبارة، وقراءة التخفيف قوية أيضا؛ لأنها جاءت بالتصديق أولا، ثم عطف عليه الإقراض الذي هو نوع من الصدقة، بل هو أفضل منها، كما ورد في أحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تناول مكي بن أبي طالب القراءتين، ذاكرا أوجه القوة في كليهما.[26]

5- التغاير بين اسم الفاعل واسم المكان

قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ الأنعام: 98]

اختلف القراء في ﴿فمستقر﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بكسر القاف وقرأ الباقون بفتحها.[27] ووجهت قراءة الكسر على أن ﴿فمستقر﴾ اسم فاعل مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فمنكم مستقرّ في الرحم، أي: قد صار إليها واستقرّ فيها، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه. وأما قراءة الفتح فهي اسم مكان مبتدأ، والخبر محذوف أيضا، والتقدير: فمنكم من هو قارّ في الأرحام، ومنكم من هو مستودع في صلب أبيه، وليس ببعيد أن يكون مصدراً أي: فلكم مكان تستقرون فيه وهو الصُّلب أو الرحم أو الأرض، أو لكم استقرار فيما تقدم، وينقص أن يكون اسم مفعول لأن فعله قاصر لا يُبنى منه اسم مفعول.

6- التنوع الصوتي

قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ الزخرف: 57]. قراءتان متواترتان في هذه الآية الكريمة، حيث قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف عن نفسه بضم الصاد من ﴿يصدون﴾ والباقون بكسرها.[28] وهذا الاختلاف الصرفي، نتج عنه اختلاف في المعنى، فمن قرأ بالكسر، فهو مضارع للفعل صد يصِد، نحو: جلس يجلس، ومعنى الآية على هذه القراءة أنهم يحدثون ضجيجا وصوتا وتشويشا، وقيل: يضحكون من ضرب المثل بعيسى عليه السلام، وقراءة الضم أفادت أنهم يعرضون ويعدلون عما جئتم به. والكسائي يرى القراءتين بمعنى واحد، يقول: "هما لغتان لا تختلفان في المعنى والعرب تقول: يصِد عني ويصُد عني مثل: يشِد ويشُد".[29]

7- التنوع بين اسم الفاعل واسم المفعول

(26) ينظر: الكشف 410/2
(27) ينظر: النشر في القراءات العشر، 2/ 294
(28) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: 496
(29) حجة القراءات، ص: 652

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

قوله سبحانه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: 19] قرأ نافع وأبو عمرو ﴿مُّبَيّنَةٍ﴾ بكسر الياء، وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بالفتح.[30] فأما من قرأ بالفتح فله وجهان: الأول: أن الفاحشة والآيات لا فعل لهما في الحقيقة إنما الله تعالى هو الذي بينهما. والثاني: أن الفاحشة تتبين، فإن يشهد عليها أربعة صارت مبينة، وأما الآيات فان الله تعالى بينها، فهي اسم مفعول، والمبين مدعيها. وأما من قرأ بالكسر فوجهه أن الآيات إذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان وإذا صارت أسبابا للبيان جاز إسناد البيان إليها، كما أن الأصنام لما كانت أسبابا للضلال حسن إسناد الإضلال إليها كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مّنَ النَاس﴾. إبراهيم: 36] فهي اسم فاعل أي: مبينة صدق مدعيها، وقيل ﴿مبيَّنة﴾ بالفتح معناها مكشوفة ومظهرة، و﴿مبيِّنة﴾ هي التي تبين على صاحبها فعلها.[31] كما نجد التنوع بين اسم الفاعل واسم المفعول في قوله سبحانه ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: 24، فقد اختلف القرأة في ﴿المخلصين﴾ فقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح اللام اسم مفعول وافقهم الأعمش ونافع وأبو جعفر، والباقون بالكسر.[32]

وباختلاف القراءتين اختلف المعنى، لأن قراءة الكسر هي اسم الفاعل، من أخلص، والمفعولُ محذوف تقديره: المخلِصين أنفسَهم أو دينَهم، ويؤيد هذا قوله سبحانه ﴿مخلصا له ديني﴾، وأما قراءة الفتح فهي اسم مفعول مِنْ أَخْلصهم اللَّه، أي: اجتباهم واختارهم أو أَخْلصهم مِنْ كل سوء، وبذلك صاروا مخلصين من الأسواء والفواحش، ويقوي ذلك قوله سبحانه ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم، قال مكي: "وفتح اللام أحب إلي لأنهم لم يخلصوا أنفسهم لعبادة الله إلا من بعد ما اختارهم الله، وأخلصهم لذلك، وقد قال تعالى ذكره ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾".[33]

الخاتمة:

بتوفيق من الله سبحانه، استطعت أن أعالج في هذه الدراسة قضايا مهمة تتعلق بكتاب الله وقراءاته المتواترة، من حيث اختلاف هذه القراءات وأثره على الدلالة اللغوية نحويا وصرفيا، ذلك أن القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعربُ كانوا وقتئذ مختلفي اللهجات، متنوعي اللغات، فأنزل الله تبارك

(30) السبعة في القراءات، ص: 230
(31) ينظر: حجة القراءات، ص: 196
(32) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: 331
(33) الكشف، 123/2

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

وتعالى القرآن على سبعة أحرف، تيسيرا على الأمة ، فكانت الإباحة من الله عز وجل لكل قبيلة أن تقرأ بلغتها، وما درجت عليه، وهذه القراءات كلّها والأوجه بأسرها من اللغات هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرأ بها وأباح الله تعالى لنبيّه القراءة بجميعها.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها:

- تعدد القراءات القرآنية في الآية الواحدة، يقوم مقام تعدد كلمات القرآن الكريم، وهذا من إعجاز كلام الله رب العالمين، ومما انفرد به النص الكريم، ولا يستطيعه لغوي، أو بياني في تصوير خيال.
- الاختلافات في القراءة القرآنية على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض ، ومعنى هذا أن القرآن معجز إذا قرئ بهذه القراءة، ومعجز أيضا إذا قرئ بالقراءة الثانية، ومعجز كذلك إذا قرئ بالقراءة الثالثة، وهلم جرا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.
- مجموع القراءتين المتواترتين قد يكون دالا على معنيين في لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، وقد يكون اختلاف القراءتين مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وبيان حكم آخر متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام في أوجز تعبير، وذلك من الإيجاز المعجز، الذي لا يوجد في كلام الناس، ولكنه في كلام خالق الناس.

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني
- الجزري، محمد بن محمد بن محمد (1997م) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط وتعليق الشيخ/ أنس أبو مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الجزري محمد بن محمد بن محمد (2010م) النشر في القراءات العشر. قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي محمد الضباع. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الجزري، محمد بن محمد بن محمد(1932م) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق/ برجسترار، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الحسين، ابن خالويه أبو عبد الله بن أحمد (1401هـ). الحجة في القراءات السبع. الناشر/ دار الشروق – بيروت. الطبعة الرابعة، تحقيق: د عبد العال سالم مكرم
- الحلبي، أبو الحسن طاهر المقرئ، ابن غلبون (1412هـ 1991م) التذكرة في القراءات الثمان. دراسة وتحقيق / أيمن رشدي سويد. الطبعة الأولى. جدة. المملكة العربية السعودية.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، (2008م) الأحرف السبعة للقرآن. تحقيق / مجدي السيد وجمال الدين شرف. الناشر/ دار الصحابة للتراث بطنطا.
- الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الحجة في علل القراءات السبع، المحقق: بدر الدين قهوجي -بشير جويجابي.راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، 1413هـ -1993م، دار المأمون للتراث، دمشق/بيروت.
- البنا شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، (1987م) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر. حققه وقدم له الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل. عالم الكتب. الطبعة الأولى.
- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء / 4، تحقيق / عبد الرزاق المهدي.
- البغدادي، أحمد بن موسى، ابن مجاهد (2010م) كتاب السبعة في القراءات. تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف. الطبعة الرابعة. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- الحلبي، السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (1987م). الدر المصون في علم الكتاب المكنون. تحقيق الدكتور/ احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01

- محيسن محمد سالم الهادي إلى شرح طيبة النشر في القراءات العشر. (2009م) دار البيان العربي. القاهرة. مصر، الطبعة الأولى .
- ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد.الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر، (1420هـ - 2000م) جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق/ أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى.
- الطاهر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي، ابن عاشور. التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1951م.
- أبو حيان. محمد بن يوسف الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة: د. رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998م.
- ابن زنجلة. عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة.حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ - 1982م.
- ابن خالويه. الحسين بن أحمد أبو عبد الله.الحجة في القراءات السبع.المحقق: د. عبد العال سالم مكرم. الناشر: دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1401هـ.
- ابن الباذش. أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر.الإقناع في القراءات السبع. دار الصحابة للتراث. تاريخ الطبع: بلا
- ابن الجزري.محمد بن محمد بن محمد بن يوسف. تحبير التيسير في القراءات العشر.المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة.الناشر: دار الفرقان، الأردن،عمان، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.

تاريخ الاستلام: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2020/12/01